أبٌ

«كان مع أطفاله وأسرته في مصيف «قرنايل»[١]..

وكانوا يملؤون حياته ضَجَّةً... وحركة..

ثم سافروا جميعاً إلى «حلب»... وتلبَّث وحده، وقد أصمت كلُّ ما حوله...

أين الضجيجُ العذبُ والشَغَبُ
أين التّدارسُ شابَه اللَّعبُ
أين الطفولةُ في تَوَقّدها
أين الدُّمى، في الأرض، والكتبُ[٢]
أين التَّشاكسُ دونما غَرَضٍ
أين التشاكي ما لَهُ سَبَبُ
أين التَّباكي والتَّضاحُكُ، في
وقتٍ معاً، والحُزْنُ والطربُ
أين التسابُقُ في مُجاورتي
شغفاً، إذا أكلوا وإن شربوا

(١) قرنايل: من قرى المصايف في قضاء المتن بلبنان.
(٢) دمى: الدمية: الصورة المجسمة الجميلة - (اللعبة).

يتـزاحـمـون على مُـجـالَسـتي
والقـرب مِنّي حـيثمـا انقلبـوا
يتـوجـهـون بِسَـوْقِ فطرتهمْ
نحـوي، إذا رهبـوا وإن رغبـوا
فنَشـيـدُهم «بابا» إذا فـرحـوا
ووعـيـدُهم «بابا» إذا غـضبـوا
وهتـافُـهمْ «بابا» إذا ابتـعـدوا
ونجـيُّـهـمْ «بابا» إذا اقـتـربوا

*****

بالأمس كـــانوا ملءَ منـزلنا
واليـومَ، وَيْحَـا ليـوم، قد ذهبوا
وكـأنّمـا الصَّـمتُ الذي هبطتْ
أثقـالُهُ فـي الـدَّار إذ غَـربوا
إغـفـاءةُ المحـمـوم، هَدْأَتهـا
فيهـا يـشيـع الهـمُّ والتَّعـبُ
ذهبـوا، أجَلّ ذهبـوا، ومسكنهمْ
في القلب، مـا شطّوا وما قَرُبوا
إنّي أراهمْ أينمـا التـفـتَتْ
نفسي، وقد سكنوا، وقد وثبوا
وأُحِسُّ في خَلَدي تلاعُـبَـهُمْ
في الدار، ليس ينالهـمْ نَصَبُ[1]

(١) خلدي: الخَلَد: البال والنفس.

وبريقَ أعـــينِهمْ إذا ظفـــروا
ودمـوعَ حـرقـتِهـم إذا غُـلبـوا
فـي كـل ركـنٍ مـنـهـمُ أثـرٌ
وبكـلِّ زاويـةٍ لهـم صَـخَـبُ
في النّافذاتِ، زُجاجها حَطَموا
في الحائطِ المدهونِ، قدْ ثقبوا
في البـاب، قد كسروا مـزالجهُ
وعليـه قـد رسموا وقد كتبوا
في الصَّحن، فيه بعضُ ما أكلوا
في علبـة الحلـوى التي نهـبـوا
في الشَّطر من تفّاحةٍ قضـموا
فـي فضلـة المـاء التـي سكبـوا
إنِّي أراهمْ حـيـثـمـا اتَّجـهتْ
عيني، كأَسـرابِ القطا، سربوا[1]
بالأمس في «قـــرنايل» نزلوا
واليـومَ قـد ضمتـهمُ «حلـبُ»

*****

دمـعي الذي كـتَّـمـتُـهُ جَلَداً
لمّـا تبـاكَـوْا عنـدمـا ركـبـوا

(١) القطا: جمع القطاة: وهي نوع من اليمام يطير جماعات.

حـتَّى إذا سـاروا وقـد نزعـوا
مـن أضلعي قلبـاً بهمْ يَجِبُ[1]
ألفـيـتُني كـالطِّفل عـاطفـةً
فـإذا بـه كـالغيـث ينسـكبُ
قـد يَعـجبُ العُـذَّال من رَجُلٍ
يبكـي، ولـو لم أبكِ فـالعـجبُ
هيـهـاتَ مـا كلُّ البُكا خَـوَرٌ
إنِّـي - وبـي عـزمُ الرِّجـالِ - أبُ

قرنايل (لبنان)

في ١٣٧٧ هـ

(١) يَجِبُ: يخفقُ: من وَجَبَ القلبُ يجب وجيباً.

oberkandl.com